PRINT ISSN: 2519-9781
ONLINE ISSN: 2710-1320

الدلالات السلبية للأمثال الصومالية عن المرأة في قاموس جورج كبجتس: دراسة في دلالة المضمون

د. محمد علي عمر شيذو
أستاذ مساعد في اللغة العربية وآدابها، عميد كلية اللغات – الجامعة الوطنية الصومالية

Email: Drshiidow@mu.edu.so/gmail.com

مستخلص الدراسة

إنّ الأمثال سجلٌّ تراثي يؤرّخ لأعراف المجتمع وتقاليده، غير أنّ هذا لا يعني انتشار العرف الذي يعبّر عنه المثل الواحد في جميع العشائر والمناطق على السواء، قد تكون لبعض الأمثال صبغة العموم والشمول، والبعض الآخر يختص بسكان منطقة محددة، أو عشيرة معيّنة، ولكنها تشترك في رسمها لجزئية من عرف المجتمع الصومالي. وتعدّ دراسة هذا المقال جزءًا من دراسة سابقة نشرت في العدد السابق تناولت الدلالة الإيجابية لأمثال المرأة الصومالية، وعليه اختص هذا المقال بالجانب السلبي منها، مستهدفًا بيان ما تؤطّره هذه الأمثال من نظرة دونيّة للمرأة، وتقليل عقلها وعملها، وتحقير مزاجها وسلوكها، من أجل تجنّبها، وتنبيه الأجيال الصاعدة عليها، من خلال وضعها في إطارها التراثي والتاريخي. كما اشتركت الدراسة الحالية في الدراسة السابقة المنهج الوصفي التحليلي؛ لعرض الأمثال وتصنيفها دلاليًّا، وتحليل مضامينها السياقيّة والثقافية والبيئية والظرفية. وتوصلت إلى نتائج، أهمها أن الدلالات السلبية للأمثال الصومالية عن المرأة الواردة في

هذا المقال تنوّعت، ما بين أمثال تشجّع عنف المرأة، وتنعتها بالغدر وعدم الوفاء. وأمثال تصفها بالتسرّع والتقلّب، والبخل والسذاجة والبله. وأمثال تنعتها بمثيرات الفتن ومجلبة الفُرقة والشقاق. وأمثال تقلّل قيمتها وتستهتر بحياتها. وأمثال تنظر إلى المرأة نظرة الشكّ والاستخفاف.

الكلمات المفتاحية: دلالات سلبية، المرأة، الأمثال الصومالية، قاموس جورج، دلالة المضمون.

Abstract

This article is part of a previous study that dealt with the positive significance of proverbs about Somali women, and published in the previous issue. Therefore, this article summarizes the negative aspect of proverbs about Somali women, aiming to clarify proverbs that diminishes the status and value of women .The researcher adopted the descriptive analytical approach; to present and classify proverbs semantically, and analyze their contextual, cultural, environmental and circumstantial implications. The study results show the negative connotations of Somali proverbs about women.

Keywords: Negative Connotations, Women, Somali Proverbs, George's Dictionary, Content Significance.

مقدّمة:

الأمثال كنز معرفي ثقافي لكلّ مجتمع، ولها قيمة تراثية عالية، وتنتمي إلى الفنّ الأدبي الواسع الذي يشمل كل أنواع "الإنشاء الأنيق المتمحور حول الطبيعة والحياة الإنسانية من الكلام المنظومِ والمنثورِ، وما يتصل بهما، أو يفسّرهما، أو يدلّ على مواضع الجمال فيهما" (شيذو ط1، ص 19)، وما يعنينا هنا هو إبراز قيمتها الثقافية في المجتمع الصومالي ومدى تمسكه بها حفاظًا على ما تحملها من تراث فكري عريق. ومما يدلّنا على ذلك هو ولعه باستشهادها وإعجابه بها عند سماعه لها، حيث لا تخلو محادثاته ومخاطباته، سواء كانت رسمية أو شعبية، من أمثال قيلت في مناسبات مختلفة تتناغم مع موضوع السّاعة، يسردها المتكلّم ليدعم بها وجهة نظره؛ لتحظى بقبول المجتمع.

وتظلّ الأمثال محفورة في الذاكرة الجماعية -غالبًا- وذلك لسهولة حفظها، وتيسر استدلالها عند الحاجة، إضافة إلى كثرتها وتنوعها؛ إذ يجد كل متكلّم منها ما يلائم موضوعه، ويقوّي موقفه؛ فيلتقطها فورًا، ويسوقها لإقناع الطرف الآخر وتعزيز حجته، علاوة على ما تغنيه من شرح مستفيض.

وتنشأ الأمثال في سياقات مختلفة، قد تبقى بعضها معروفة السبب والمكان والزمان، وهذا قليل، ويختفي ذلك من غالب الأمثال، ويبقى غرضها فقط، وهذا هو العام؛ لأنه هو الأصل الذي يضمن لها الاستمرار والخلود.

وتهتم هذه الدراسة بالمضمون وهو المكمن الدّلالي الذي تتمركز عليه الفكرة أو القيمة أو النصّ سلبًا أو إيجابًا كما يقول عقيل: إذ يميّز بين المحتوى والمضمون. فالمحتوى أعمّ من المضمون؛ لأنه في الكتاب يضمّه من الغلاف إلى الغلاف، وأما في الخطاب أو النصّ فيشمل من أول كلمة قيلت أو كتبت إلى آخر كلمة قيلت أو كتبت. وأما المضمون فهو مكمن الكلمة والفكرة والجملة التي ينقلها المحتوى... (2014م، ص159). ويُعنى دراسة دلالة المضمون هنا، بتحليل مضمون أمثال المرأة الواردة في هذا المقال، وتفحّص معانيها عن وعي وانتباه يميّز بين الدقيق والأدقّ من خلال التعرّف على محيطها الذي

استوعبها. (عقيل، 2014م، ص161). والسياقات الثقافية والاجتماعية والتاريخية التي أوجدتها، أو صيغت من أجلها.

ولا يتعرض هذا المقال لتعريف المثل، وبيان أهميته عند الأمم، والتعريف بالشعب الصومالي، ومكانة الأمثال عنده، وتَصنُّف مجالاتها، والتعريف بجورج كبجتس وقاموسه؛ لأنها فُصّلت في المقال السّابق، ولا حاجة لإعادتها ثانية.

وللأمثال التي تتحدث عن المرأة الصومالية دلالات متباينة بعضها إيجابي وهي التي تحدثنا عنها في المقال السّابق، وبعضها سلبي وهي التي نوردها هنا، وثمة مجموعة أخرى حيادية لا سلبيّة ولا إيجابيّة، تشخّص عن واقع ما، ربما نتناولها في مقال لاحق، بإذن الله.

فالأمثال السلبية أكثر حضورًا من الأمثال الإيجابية، غير أننا نذكر بعضًا منها حسب ما يسمح لنا حجم المقال. وتتنوع دلالات الأمثال السلبية عن المرأة الواردة في هذا المقال انطلاقًا من مضمونها فيما يأتي:

أمثال تشجع على تعنيف المرأة

- **المثل الأول:** Afada waa sida dufanka, haddaan la dhalaalin way adkaan. (جورج، ص26) الزوجة كالشّحم إن لم تُذِبْها تَجْمُد.

وهذا المثل يعبّر عن عادة مجتمعيّة كانت موجودة ولم تضمحل بعد، وهي قسوة الزوج على الزوجة، وضربه المبرّح لها إذا لزم الأمر، معتبرًا ذلك نوعًا من التأديب المندوب، بل حكى لي الأستاذ فيروزعن عادة غريبة لدى بعض العشائر، وهي أنّ الأزواج الوديعين الذين لا يعنّفون النساء، ويغلب عليهم لين الجانب، تشتكي زوجاتهم منهم إلى أقربائهم، وأنّ أي رجل لم يَقْسُ عليها ولو للحظات بعد الشكوى ومخاطبة أقربائه إليه، تصرّ الزوجة على مفارقته، ما يضطرّ أقرباؤه أن يتدخلوا في الأمر، ويقوموا بضربها بدلًا منه، حينها تهدأ، وتعرف أنها محبوبة، وأن الأهل لا يريدون مفارقتها. (مقابلة، 8 أبريل، 2020م). صحيح أن المثل قاس، ولكنّه يحمل في طياته جزءًا من تاريخ الشّعب وتراثه.

ووافق الأستاذ محمد عبد الله توكل مع فيروز في قصته، مضيفًا أنّ البنت الصوماليّة – تماشيًا مع مجتمعها– تحبّ الزوج الصّارم الذي يأخذها بالشّدّة وينتقد تقصيرها في أداء

مهامها، ويعنّف أولاده، وتكون كلمته مسموعة في الأسرة، وتريده أن يكون أعقل منها لتقتدي به وتعتزّ بسداد رأيه وحلّه الأمور المعقّدة والمنازعات الشائكة، وبناء على هذا التصوّر فإن من لم يضربها تعتبره ضعيف الشخصية مهانًا فاقد الرجولة. وتتهمه العشيرة كذلك بأنه جبان واهٍ، لا يجيد إدارة البيت، ولا التعامل الملائم مع الأولاد، ومن ثمّ تأنف البنت أن تقبله زوجًا إذا علمت حاله قبل الزواج، وتطلب الانفصال عنه إذا تأكّد لها ذلك بعد الزواج. مستطردًا قصة أخرى أكثر غرابة من ذي قبل، وهي: أن من عادات بعض العشائر إذا غضب الزوج على زوجته أخطرها بأنه سيضربها الليلة، طالبًا منها أن تُحضر عصيًّا وحبلًا ومَقْعَدًا، وحين يحلّ الليل ويغشى الظلام ويملأ السّكون الأجواء، ويخلد الناس إلى النّوم يذهب بها خِلْسَة إلى خارج منطقة السّكن، وتتبعه منقادة له، ومعها العصيّ والحبل والمقعد، ثمّ يربطها بحبلها، ويقعد على المقعد، ويضربها بعصيّها حتى يملّ، ثم يرجعان معًا إلى بيتهما دون أن يعلم النّاس ما جرى بينهما في البارحة. (مقابلة، 2مايو 2020).

لكن الدكتور بشير، يرى أنّ دلالة المثل عامة تنطبق على كلّ فرد، وإنّما أجريت على السيدات لكونهنّ الحلقة الأضعف في المجتمع، وتعني أنّ أي إنسان لم يُنشّط اجتماعيًّا، ولم يُنمّ مواهبه وقدراته العقليّة والرّوحيّة والبدنيّة، ولم يؤهّل تأهيلًا يتناسق مع مهامه المرتقبة أو القائمة، يبقى عالَة على المجتمع، وهذا هو مقصود المثل، التجمُّد هو التعطيل، والإذابة هو التفعيل. (مقابلة 30 أبريل 2020م).

- **المثل الثاني:** Naag ninkii xariir u gogla xanan bay u gogoshaa, ninkii xanan u goglana xariir bay u gogoshaa. (جورج، ص 120) من يفرش للمرأة حريرًا ستفرش له شوكًا، والعكس بالعكس.

هذا المثل يتهم النّساء بالغدر، ويجعل جزاءهن جزاء سنمار يُسئن لمن يُحسن إليهنّ، بينما وصف الرجال بالعكس، أي يجازون الإحسان بالإحسان. وهو اتهام قاس قد لا يستند إلى حقائق واقعيّة، أو تاريخيّة، أو منطقيّة، بقدر ما يستند إلى الفوقيّة الذكوريّة وميلهم إلى ازدراء الجنس النّاعم وإلقاء التهم عليهنّ دون دليل.

- **المثل الثالث:** Ammaan rag waa uga dartaa, nagana xeraday ka saartaa./reerka ayay ka bixisaa. (جورج، ص28)، الثناء يضرّ الرّجل، ويعزل المرأة عن محيطها.

فهذا المثل يثبت أن المجتمع كان يكره الثناء على الأفراد في وجودهم عمومًا، ولكنّه بات يُستبشع أكثر في مدح السيدات، أما في استيائه وتأففه من إطراء الرّجال فيعود إلى مخافته من أن يُفضي ذلك إلى التعالي والغطرسة والغرور، وهو سلوك يتعارض مع طبيعة الشعب الذي تنعدم الفروق الطبقيّة والاجتماعية بينه، وأما استهجانه لتقريظ السيدات فمآله في مقصدين، المقصد الأول حفاظًا على التعاون القائم بين الإناث؛ لأنّ معظم الأعمال التي يُقمنها تتم جماعيًّا أو تعاونيًّا، وأن أي صراع بينهنّ يُضعف هذا التضامن، حيث يدفع المدح بالممدوحات إلى الاستعلاء على نظيراتهن، وينفر الأخريات من المتباهيات بأنفسهنّ، ويحلّ الشّقاق محلّ التكاتف. وأما المقصد الثاني، فهو خشية المجتمع من أن تغترّ الفتاة بالمدح، وتترفع عن جميع من يتقدّم لها بالزواج معلّلة بذلك أنها أعرق منه حسبًا، وأجمل مظهرًا، وأبعد صيتًا، ومن ثَم تنخدع في الكلام المعسول وتقع فريسة لماكر محتال، وتضيع سمعتها وشرفها، وتبقى منبوذة اجتماعيًّا.

- **المثل الرابع:** Dumar iyo caruurba laysma ciyaar baro (جورج، ص64) لا تدع النساء والأطفال يتعودون على ملاعبتك.

يقرّ المجتمع الصومالي من خلال هذا المثل الذي يُحرّض الرّجال على عدم ملاعبة الزوجات والأطفال بجفائه العاطفي، حيث يعتبر الممازحة والمداعبة معهما مهانة للرّجل ومنقصة له، ويحدّد المثل كذلك العلاقة بينهما جاعلًا الرّجال أسيادًا وأمراء يصدرون أوامر وتوجيهات، والزوجات والأطفال رعايا ينفذونها فورًا وبدون استفسار أو مناقشة. فمساواة المثل بين السيدات والأطفال تؤرّخ لحالة المجتمع القديم، وترسم قساوته على الصغار والزوجات، ولا تزال هذه الحالة حاضرة في المجتمع وعالقة في عقله الباطن ومتأصلة في وجدانه العميق، ويمارسها لاشعوريًّا، وإن لم يُقرّها نظريًّا.

- **المثل الخامس**: Naago yaraan ma leh/ yaryaraysi malaha (جورج، ص122) ليس للسيدات قُصَّرٌ(ليس في النساء صغيرات).

أي لا تستصغر الفتاة، ولا يمنعك صغرها من زواجها، قد يكون المثل خاصًّا بظرف معين، وفي مرحلة زمنية ما، ويتطابق كذلك مع المثل الآخر، القائل: naago yaraan kuma awr qaadi waayaan (جورج، ص 122) لا يمنع صغرُ الفتيات من زواجهن، وكذلك المثل القائل: ليس للمرأة والقِدر استصغار Naag iyo dheri yaryaraysi malaha (جورج، ص 122)، كل هذه الأمثال المتطابقة معنى، قيلت في بدايتها لمناسبة خاصة ربما، ولكن جرى تعميمها فيما بعد على كل ما يثبت عكس توقع المستشهد بها، لا سيما في شأن السيدات.

أمثال تنعت النساء بالغدر وعدم الوفاء

- **المثل السادس**: Ragna qowl baa xira , naagana meher baa xira (جورج، ص157) يتقيّد الرّجل بالكلمة، والفتاة بالعقد.

يستشهد هذا المثل للإثبات بأن المحادثات التي تسبق عادة عقد النكاح والتي تتم بين الشاب والفتاة، أو بين أسرتيهما إن لم تُختتم بالعقد، فكأنها لم تكن؛ لأن الفتاة يمكنها أن تضرب بعرض الحائط كلّما قيل من كلام، ووعود، وترتبط بفتى آخر سواء بقرارها أو بإيحاء من أسرتها، لذا قيل هذا المثل للتنبيه على الشباب أو أسرهم أنّ الكلام وحده لا يحجز لهم الفتاة، ولا يلزمها انتظارهم. ولا يعيّر عليها هذا القرار، بل يلام على الفتى وأسرته تباطؤهم واضطرارهم الفتاة إلى اتخاذ قرار يخالف ما اتُّفق عليه. بينما يعاب على الرجل إذا لم يلتزم بقوله، ولم ينفّذ تعهداته.

- **المثل السابع**: Abaal raaga rag baa leh, mid baaqdana haween baa leh, mid dhakhsadana xoolaa leh (جورج، ص22)، الوفاء الدائم للرجال، والغَدْر للنساء، والمنفعة العاجلة للمال.

هذا المثل يُجحف في حق السيدات ويصفهن بالغدّارات جاحدات النّعم، ناكرات الجميل، بينما يصف الرّجال بالأوفياء، والثروة بذات العائد السّريع، ما يعني أنّ المجتمع لم

يجد وصفًا يليق بالنّساء إلا الغدر كأنه يلازمهن، وهو انحياز ذكوري واضح- على الأقل في التّعبير-؛ لأنّه عمّم في مَثَلِه على الرجال والسيدات والمال، وأعطى كل فئة الوصف الذي يلائمها حسب منظوره.

بيد أنّ بعض التفسيرات المجتمعيّة تنفي أي غلظة ذكوريّة في المثل تجاه النساء، معتقدة بأنّه تعبير عملي عن عاطفتهن المتحكّمة، حيث تنسف المرأة لحظة غضبها كل الماضي الجميل، وهو ما وصف الرسول ﷺ بأنهن «**يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ. لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ**» (2004م،ج2، ص261)، وتشرح تعميم ألفاظ المثل بالتغليب،أي غالب الرّجال والنّساء والثروة، ولا يعني ذلك إطلاق الحكم على جميع أفراد كلّ فئة.

ويرى بشير أنّ المثل يجسّد حالة عدم استقلال المرأة ماديًا، وأنها حتى إذا أرادت أن تكافئ المُحسن إليها لا تطاوعها يدها؛ لأن الأموال بيد الرّجال، وهذا ليس قدحًا في شخصيتها ولكنه تلخيص عن واقع المجتمع. (مقابلة 30 أبريل 2020م). ولكنّ أصحاب الرأي الأول يردّون عليه بأن الوفاء ليس محصورًا في ما تملكه اليد، بل قد يكون اعترافًا بالفضل والشُّكر على المتفضّل، وهذا ما يقدر عليه كلّ فرد.

- **المثل الثامن:** Naago abaal ha gelin, amaahse ha u diidin (جورج، ص120) لا تساعد السيدات بغية الوفاء ولا تمتنع عن إقراضهن.

يؤطر المثل الطرق السليمة التي ينبغي على الرجل اتباعها أثناء تعامله مع المرأة، حسب عرف المجتمع، وهي تقديم كل المساعدات المادية والمعنويّة الممكنة لها، دون انتظار مقابل لذلك، وعدم رفض منحهن القروض عند الطلب، وكأن الشق الأول من المثل يقول: كن طيّبًا مع السيدات واحتسب الأجر عند الله؛ لتسدّ مداخل هوى النّفس ووسوستها، وتسلم من حبائل الشيطان وإغراءاته. وأما الشقّ الثاني فيقول: إن طبيعة المرأة في المجتمعات المحافظة الحياء والخجل، وأنها لا تطلب قرضًا إلا أن تكون مضطرة ضاقت عليها الحياة، وأغلقت كل الأبواب الأخرى في وجهها، ولم تجد بدًّا منه، وفي هذه الحالة يجب على الرجلّ أن يوفي طلبها فورًا، ويمنح القرض. وقد يحمل المثل تعريضًا

للسيدات مفاده أنهن لا يجزين الإحسان بالإحسان، ولا يعرفن ردًّا للجميل مهما تفانيت في إكرامهن؛ لذا يوصي الرجال بأن يقدّموا ما في وسعهم للسيدات- تقرّبًا إلى الله ربما- دون ترقب الوفاء. وقد قيل المثل لمناسبة خاصة، لم نقف عليها بعد، ثم عُمم. ولعلّ السيدات المقصودات هنا لسن من تربط بينهن وبين الرجال علاقة الأبوة أو الأمومة، أو الأخوة، أو الزوجيّة، أو ما شابه؛ لأن هناك أمثالًا أخرى سلفت وأشارت إلى مثل هذه الأصناف.

أمثال تصف النساء بالتسرّع والتقلّب

- **المثل التاسع**: Habartii awrka cirka aragtay ee dameerkeedii jarka ka tuurtay ha noqon (جورج، ص81)، لا تكن كالعجوز التي رأت صورة الجَمل في السّماء، وألقت بحِمارها إلى الهاوية.

أي لا تكن كالعجوز التي ضيّعت حمارها ظنًّا منها أنها قد تعثر على جَمل، وتستغني عن الحمار بعد الآن. وهذا اتهام للمرأة بالعجلة، وعدم التحرّي، وضعف التقييم؛ لكونها رمت بما عندها لمجرّد حُلم لا تضمن تحقيقه، يتطابق هذا المثل في عمومية معناه، وليس في خصوصية ألفاظه، مثلٌ آخر يقول: Miro gacmahaada ku jiro kuwa geed saran loo ma daadiyo، ثمار في يدك خير من ثمار في الشجرة. المثل يحذّر من التسرّع، ولا يمنع ترك المفضول إلى الأفضل، بل يقول اجن الثمار من الشجر أولًا ، ثم تخيّر بين الثمار التي في يدك، وليس بين ما تملك وما لا تملك.

- **المثل العاشر**: Habartii kimista dubtayee tii u danbaysay ka kacday ha noqon (جورج، ص81)، لا تكن كالعجوز التي خبّزت الخبز وقامت عن القطعة الأخيرة.

يُساق هذا المثل للحثّ على المثابرة والإتقان وحسن الختام، وكأنه يقول للعامل ضمنًا: تأكّد من أداء ما يُناط بك على أكمل وجه، حتى لا تكون كالمرأة التي تبرّمت في اللّحظة الأخيرة، وأخفقت في إتمام عملها وتحسين خاتمته. هذا المثل يحاكي السّابق في التحذير من العجلة.

- **المثل الحادي عشر:** Cindiga naageed iyo cir roobaad midna lama malayn karo (جورج، ص46)، لا يمكن تخمين اثنتين: نية المرأة والسماء الملبّدة بالغيوم.

يعرض المثل رؤية المجتمع تجاه المرأة، وهي كائن غامض لا يمكن الوصول إلى كنه أسراره. كائن يُظهر لك أحيانًا ضدّ ما يبطن، ويُسمعك كلامًا يعجبك وتُصدّق فحواه، ثم يفاجئك بعكس ما أثلج به صدرك، ويحيّرك بتحولاته السّريعة، مثل السّماء الملبّدة بالغيوم تربكك، لا تدري ما إذا كانت تمطر لتبقى في البيت ولا تتبلل في الطريق أو في الخارج، أم لا، لتواصل عملك وسيرك، قد تُرجّح الأول وتتحسّر على ترجيحك، أو الثاني ويباغتك المطر فتندم، فالمشترك بين نية المرأة والسّماء الغائمة هو كثرة التقلّب والغموض وتعدد الاحتمالات، وما يتركان في نفس الطرف الآخر من حيرة وارتباك وتغرير.

- **المثل الثاني عشر:** Kas dumar/naageed oo kadalloob rag kaaga danbeeyay kaad ku ogayd ma aha. (جورج، ص99). امرأة اجتمع معها رجل بعدك ليس رأيها كما عهدتَ.

يشير هذا المثل إلى سهولة تغيير رأي المرأة وتعديل مواقفها وقناعاتها، وأنها غير قادرة على الصمود أمام إغراءات الرجال وعروضهم، بل سرعان ما تنجرف مع تيارهم، وتركب موجتهم، ما يعني أن المثل يتهم النساء بمنقصتين: الأولى، أنهن لا يراعين المواثيق، ولا يلتزمن بالاتفاقات والوعود، والثانية، أنهن ناقصات عقل، يقتنعن بيسر ويذهبن مع الأخير دائمًا، وهذا الاتهام ليس دقيقًا في إطلاقه، وقد يكون خاصًّا بحالة العزباء التي تطمح إلى أن تتزوج سريعًا، وتتفق -مثلًا- مع شاب على الزواج بعد خمسة أشهر، وأثناء فترة الاتفاق يأتي إليها آخر جاهز، ويعرض عليها الزواج خلال أسبوع أو أي مدة أقصر من تاريخ الشاب الأول، وتقبله مباشرة، لذا قالوا: هذا المثل على هذا الظرف، ثم عُمم على النساء، والخطأ في التعميم دائمًا، ولكنه يبرز في الوقت ذاته مدى تحكم الرّجال على الأمثال، ورمْي كل منقصة على النساء. وهذا لا يعني أن الرجال هم من أطلقوا هذا المثل -وهذا وارد طبعًا-، بل يعني أن المزاج العام كان مزاجًا ذكوريًّا يتخذ

النساء مادة للتفكه والتسلية، ولو غدت النساء هن من أطلقن هذا المثل على حالات لاحظنها.

- **المثل الثالث عشر**: Ma sugto meher ma leh, ninkeedana marqaati ma galo، (جورج، ص114)، لا مهر للمتعجّلة، ولا يُستشهد بزوجها.

دلالة هذا المثل غامضة نوعًا ما؛ لأنّ ترك المتسرّعة مهرها مفهوم، ولكن تأثير ذلك بالرّجل حتى ألغيت شهادته ليست واضحة؛ لذا توقف عن تفسيره كثير من الشيوخ وأهل الخبرة بالأمثال، بيد أن جورج مؤلّف كتاب الأمثال الصوماليّة فسّرها بما يلي: المتعجّلة هي عديمة الصبر والتحمّل، والرّجال لا يحبّون زواجها، فمن تزوجها يفقد الصبر سريعًا، ويتحوّل إلى ولهان كئيب، قد يصل به الأمر إلى الهذيان أحيانًا، كالممسوس؛ لذا قالوا: لا يُعتدّ شهادته. (جورج، 21 أبريل 2020م). وهذا تفسير محتمل لبعض حالات نادرة، يصعب تعميمها.

- **المثل الرابع عشر**: Walaashaa isku ma hubtide seedigaa ha collaysan، (جورج، ص177)، لا تعادي صهرك من أجل أختك فلا تضمن وقوفها معك.

بمعنى لو اشتكت إليك أختك من زوجها، لا تتعجّل وتقسو عليه، بل حاول أن تكون مرنًا مُهذّب الأسلوب وتتخيّر كلماتك بحرص، وتتلطفّ في التعامل معه؛ لأنك إن أخذتْك العصبيّة، وتلفّظت بألفاظ لا يليق بك وبه، أو تشاجرت معه، قد لا تقف أختك معك إلى الأبد؛ لأنه زوجها وارتباطها به قوي، ومصالحها معه كثيرة، وترجع إليه وهي تراعي مصلحة أسرتها وأولادها، وأنت تنظر إلى ما بدر منك، وتتألم من أجله، ويسودّ وجهك أمامه؛ لذا ينصح المثل الإخوة بأن لا يتسرّعوا في تأزيم علاقاتهم مع أصهارهم حين تشتكي لهم أخواتهم، وأن يفكّروا في حلّ المشكلة وليس لمناصرة أخواتهم، والانتقام لهنّ من بِعالهنّ. تظهر ألفاظ المثل كأنها تقسو المرأة، حين وصفت أنها لا يمكن الوثوق بها، ولكنها وصف طبيعي لواقع المجتمعات العشائرية التي لا تلجأ عادة إلى القضاء عند المشاجرة، بل تحاول أن تأخذ حقها بيدها. وبما أنّ النساء يضعفن أمام الرجال عند العنف

يلذن لمن يماثل خصمهم في القوة والشدة والبأس، وهذا يؤدي إلى صدام قد يكون المناصر هو الخاسر، ويتفق طرفا المشكلة أخيرًا. وهذا ما يحذّر منه المثل.

أمثال تصف المرأة بالبخل والسذاجة والبله

- **المثل الخامس عشر**: Deyr iyo dumar midna deeqdooda kama harto (جورج، ص55)، الخريف والمرأة يذهبان بكرمهما.

الخريف هو موسم المطر الثاني في الصومال؛ إذ يعتبر الرّبيع هو الأوّل والأساس الذي تهطل فيه الأمطار الغزيرة، وأما الشتاء فقد تنزل أمطار خفيفة في بعض المناطق؛ لذا لا يُعدّ موسمًا مطريًا. فأمطار الخريف ليست كثيرة كالربيع، وبالتالي خصوبتها محدودة وقليلة، وتنتهي مع انتهائه هو، ولا يترك كلأ وزرعًا ونباتًا يُنتفع به، ولا ماء يُستقى به بعده. وحتى إبان وجوده فهو مُجْهِدٌ يجمع بين المنفعة والمضرة في آن؛ إذ يظلّ نهاره حارًّا جدًّا وليله قارس مع هبوب رياح قويّة، تؤدي إلى انتشار أمراض معدية في البهائم والبشر.

فالزوجة كذلك، تأخذ ما تجود به حين تغادر، وهذا معروف، ولكن ما لا يقبله ذوق المجتمع ويرفضه العرف هو التمنّن الزائد، حين تتسلّى المرأة بتذكير المعارف، أو الأقارب الذين طالتهم يدها البيضاء بأنعمها وهباتها وجمال كرمها، كلما التقت بهم، أو ذُكر اسمهم، وهو ما اعْتُبر استرجاع مبطّن لما قدّمته مسبقًا. وهنا ربط المثل بينهما قائلًا: فكما أنّ الخريف يذهب بجوده، فكذلك سيدة البيت. ولكن قد يُجادَل هنا بأن خصلة التمنّن ليست خاصة بالمرأة، بل هي مشتركة، ولا تنطبق على كل النساء أيضًا، وهي -مع ذلك- متفقة على أنها مستهجنة وملفوظة، ما يعني أنّ لصقها بالمرأة، دليل على الهيمنة الذكورية للرأي العام، أو ملاحظة غالبة.

- **المثل السادس عشر**: Doqon iyo naag nimay legdaan kama kacaan (جورج، ص61)، الأحمق والمرأة لا يتركان من غلباه!

يقول المثل: إن الأحمق، إذا طرحك على الأرض ووجدك تحت قدمه، وتيقّن أنه أقوى منك تزداد فيه نشوة الانتصار ويضاعف جهوده لإيقائك على الأرض إظهارًا لشدّته وعضلاته، ومهارته النادرة وقدراته الفذّة، ولا يترك أنت وشأنك بعدها، بل يستفزّك كل

ما يراك ليجد مبررًا لمهاجمتك وصرعك من جديد. وبعض روايات تورد Nacas iyo naagaba ninkay legdaan kama kacaan، (ص61)، فكلمة (Nacas) هنا، تعني ضعيف الشخصية، وتصح على الأبله، والجبان معًا. ويرى المثل أن فِعال المرأة تتماثل مع الأحمق، أو الجبّان، خاصة إذا أحسّت بأنها أقوى من الزوج، وأصوب رأيًا، تقتل شخصيته، وتتدمّر سمعته، بينما تتفاخر هي أمام صديقاتها وجاراتها بهيمنتها عليه، لا سيما في المجتمع الصومالي القديم الذي كانت كلمة الرّجل مسموعة مطاعة، ومن هنا نلاحظ أن المثل عبّر عن واقع بعض السيدات وإن أضفى صبغة العموم التي تدلّ على الفوقيّة الذكوريّة، أو المزاجية.

- **المثل السابع عشر:** In-dheer- garato rag waa ku yar tahay, nagana ku ma jirto (جورج، ص94)، الحصافة قليلة في الرجال، ومنعدمة في النساء.

هذا المثل كسابقه يستصغر عقل المرأة، ويحصر: أهل البصيرة والحكمة في الرجال، ويحرم النساء منها، فالشق الأول من المثل صحيح، أن أهل الرّأي والحصافة قليلون في الرّجال، ولكن في الشق الثاني الذي يحرم النساء من الحكمة وبُعد النّظر ليس دقيقًا، فالحكيمات موجودات وإن قلّ عددهن كالرّجال. ولكن واضع المثل غالبًا هو رجل، أو الطابع المجتمعي العام كان كذلك.

- **المثل الثامن عشر:** Reer hadii uu hallaabi rabo, habar baa hoggaanka u qabata (جورج، ص158)، عندما يبدأ القوم بالضياع يسندون أمرهم إلى عجوز.

هذا المثل قريب من الحديث القائل: «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ أَسْنَدُوا أَمْرَهُمْ إِلَى امْرَأَةٍ**» (الطيالسي، 1999م، ج2، ص205).، وهو حديث استشهد به كثير من أهل العلم مشترطين الذكورة في الولاية العامة، وقال ابن العربي: إنَّ الْمَرْأَةَ لَا تَكُونُ خَلِيفَةً، وَلَا خِلَافَ فِيهِ" (2003م،ج3، ص482)، وذهب الصلّابي إلى تخصيص الحديث بالوَلاية العامة، قائلًا: " إنّ الحديث ورد في مناسبة تاريخية معيّنة حين أبلغ الرسول ﷺ أنّ الفُرس وكانوا في حالة انهيار سياسي وانحلال أخلاقي، ويحكمهم نظام ملكي استبدادي فاسد، وبلغت الصراعات على السلطة حدّ الاقتتال عليها، والحرب دائرة بينهم وبين العرب،

فأسندوا أمر قيادتهم ومملكتهم إلى ابنة كسرى تعلقًا بأوهام الوثنية السياسية التي لا علاقة لها بالشورى، فكان الحديث وصفًا لحال الفُرس المتردي وقراءة بصيرة في سنن قيام الدول وانحلالها، فهذا إخبار عن حال وليس تشريعًا عامًا ملزمًا، ذلك ما يدل عليه فقه الحديث" (د ت، ص225). غير أن كثيرين وسّعوا دلالة الحديث، ليشمل كل أمر ذي شأن يسند إلى المرأة. وهذا بالتأكيد ليس سليمًا، إلا أن الصوماليين يقولون من خلال المثل: إنه عندما يشرع القوم في الانحراف يسندون أمرهم إلى عجوز، وهذا يعود إلى عرفهم التليد الذي يمنح الرجال السيطرة المطلقة، والكلمة الأخيرة وينظر إلى المرأة نظرة دونيّة حتى في وقت قريب.

- **المثل التاسع عشر**: Habar fadhida legdan la fudud (جورج، ص81)، العجوز الجالسة ترى المصارعة سهلة.

يشير هذا المثل إلى تصورات المنظّرين من خارج الحَلَبة، إذ يصفون للمبارز التكتيكات والحيل التي ينبغي اتباعها ضدّ الخصم، بينما يرى المصارع المباشر بها صعبة للغاية، ويفقد التركيز أحيانًا، ولا يقدر على الالتزام بما تعلّمه من تدريبات سابقة، أو الإصغاء لنصائح الآخرين أثناء المصارعة، فينبطق المثل على الجنسين، وعلى جميع الفئات، لكن حصره على النساء دليل على السيطرة الرجاليّة في المجتمع. أو ربما لأنها لا تشارك المصارعة بتاتًا، بل تكتفي بالتفرج عليها، والمشاهد أكثر من يجيد الوصف، ويرى أنها سهلة؛ لأنه لم يجرّبها بعد ومن هنا خصصوا المثل على النساء لبعدهن عن الممارسة، وإتقانهن فن الشرح.

- **المثل العشرون**: Habar roob hayaa habar walba in roob hayay moodaa (جورج، ص81)، أية عجوز ينزل عليها المطر تظن أنّ كل العجائز مُمْطَرات.

هذا المثل يتهم النساء بالبلادة وقلّة الإحساس مع أنهن أكثر إرهافًا ورقّة من الرجل غالبًا، ما يشير إلى انحيازه للرّجال، وشبهه المثل القائل: Habar roob u da'ay meel kasta ramaas bay mooddaa (جورج، ص81)، أية عجوز ينزل عليها المطر تظن جميع الأراضي خصبة. وهناك مثل آخر يتسق مع المثل السابق، وهو: Habartii dherigeedu

buuxo waxay mooddaa habar walba in dherigeedu buuxo (جورج، ص81)، أية عجوز يمتلئ قدرها تظن جميع العجائز مثلها...وقد يكون المثل عامًّا لمن يقلّ إحساسه عندما يشبع، ولكن تخصيص هذه الصفة الذميمة على السيدات إجحاف لرقتهنّ.

المثل الحادي والعشرون: Talo dumar taagdarro ayay u dhacdaa (جورج، ص169)، نصائح النساء تسقط لوهنها.

قد يفسر هذا المثل تفسيران: الأول أنّ نصائح النساء تسقط لفشلها في التنفيذ؛ إذ تحتاج إلى سلطة تنفيذيّة تحوّلها إلى واقع عملي، وهو ما تفقده النساء، حيث يتفرّد الرجال بهذه السّلطة. أو بمعنى آخر تسقط نصائح النساء لوهنها الفكري؛ إذ لا تحمل حِكمًا بليغة ولا آراء سديدة، ومن ثم لا أحد يأبه بها. وكلا التفسيرين ينسجمان مع طبيعة المجتمع الذكوري الذي يُهمل نصائح النساء غالبًا، ولا يتشاور معهن، إلا في حالة الضرورة القصوى.

- **المثل الثاني والعشرون:** Saddex wax mooday: tukube taag mooday, naago talo mooday, doqon tol mooday (جورج، ص200)، وَهِمْتُ في ثلاثة أشياء: إن في العصى المتكأ عليها قوة، وأن عند النّساء رأي، وأنّ الأحمق سندٌ.

وهذا المثل كغيره من الأمثال السالفة يُجرّد النساء من البصيرة، والحكمة، ويؤكد أن من اعتقد ذلك فهو مخطئ واهم. وأن الأمر مجرّب ومحقّق، وهذه خلاصة النتائج.

- **المثل الثالث والعشرون:** Naag been waa lagu soo xero geliyaa, runna waa lagu dhaqaa (جورج، ص119)، يُصطاد الفتاة بالكذب، ويُتعامل معها بالحقيقة.

يُجلّ هذا المثل المكر والخداع، ويُقَعّد جواز استجلاب السيدات بالكذب والتحايل، ثم وضعهن في واقع تتضاءل خياراتهن إثره. وهذا اتهام مبطّن بأنهن عاطفيات، يغترُّن بالكلام المعسول، وينخدعن بسهولة، ويقعن في الفخ، وهذا قد يكون صحيحًا، ولكنه وصف لواقع مرير اعتاده كثير من أشباه رجال يقتاتون بالغش والكذب، ويتفاخرون بالزور والفرية، وكل ما يستحي منه الرجال الحقيقيون، ثم يدّعون البطولة

والدهاء...ومن ينخدع بمثل هؤلاء لسن النساء فقط، بل الرجال كذلك؛ لأنهم متلوّنون كالحرباء، ويراوغون روغان الثعلب.

- **المثل الرابع والعشرون:** Naag reerkay labaatan jirka dhistay lixdan jirka ku dumisaa, ninna reerkuu labaatan jirka dumiyuu lixdan jir ku dhisaa. (جورج، ص120)، تهدم المرأة وهي في سن الستين البيت الذي بنته في سنّ العشرين. ويبني الرجل وهو في سن الستين البيت الذي هدمه في سنّ العشرين.

يتحدث المثل عن النضج، ويقول إن الكبر لا يزيد النساء نضجًا، عكس الرجال، الذين يزيد عقلهم ونضجهم وحصافتهم كلما زاد عمرهم. وهذا ليس على الإطلاق، بمعنى ليس النضج عند الكبر صفة ملازمة للرجال، تنحرم منه النساء، بل لكلّ جنس حظّه من اكتمال العقل واكتساب الخبرة، وتختلف تصرفاتهما عند الهرم بين من يُحمد نصائحه، ويُقتدى بأفعاله، وبين من يُتعوّذ من شرّه، رغم تقدّم عمره. ولكن ربما جرى المثل على حالات بعينها.

- **المثل الخامس والعشرون:** Naago ragna waa u wada ciidan, geelna waa u wada caano (جورج، ص122)، عند السيدات كل الرجال قادرون على المؤازرة، وكل النوق تدرّ الحليب.

المثل يتهم السيدات بضعف التقييم، بحيث يتخيّلن أنّ بإمكانهن أن يستعنّ عند الحاجة بكلّ رجل لكونه قادرًا – في نظرهن– على حلّ المشكلة سواء بالاستجداء به عند الخوف أو اللجوء إليه لدى الفاقة، كتصورهن أن كل النوق تدرّ حليبًا. وبالطبع هذا الإطلاق ليس دقيقًا، فكثير من النساء يميّزن بين مَن يلذن به عند الحاجة ومن ليس أهلًا لذلك، وكذلك النوق، بل لدى بعض السيدات خبرة عن النوق وسلالاتها وجودتها وكثرة حليبها أو قلّته أكثر من رجال كثيرين. إذن، تعميم المثل ليس سليمًا، ولكن يُحتمل أن لاحظ القائلون الأوائل مجموعة من سيدات عصرهم في هذه الأوصاف، ثم أطلقوا المثل.

- **المثل السادس والعشرون:** Dadka inta naarta gasha iyo inta jannada gasha yaa badan? Inta naarta galaysa ayaa badan, haddii inta naag hadalkeed raacday lagu daro. (جورج، ص191)، أيهما أكثر عددًا بين من يدخلون الجنّة ومن يذهبون إلى النار؟ أهل النّار أكثر عددًا، إذا أضفنا إليهم عدد من يتبع كلام النساء.

هنا عدّ المثل كل من يسمع نصائح النّساء ويقبل رأيهن من أهل الجحيم، دون أن يحدد نوع تلك النّصائح والمشورة، كأنه وضع كل الآراء، والتوجيهات، والإرشادات الصادرة عن السيدات في سلّة واحدة، وأن من يأخذها ويُصدّقها ويعمل بها، فهو في النّار، بغض النظر عن قيمة ما تقوله ومضامين رسالتها، وهذا إجحاف واضح في حقهن، ومخالفة بيّنة لحقائق التاريخ الإسلامي، ولكن كعادة كثير من الأمثال لا تعبّر إلا عن وجهة نظر مجموعة معينة تقطن في جغرافيّة محددة، بيد أننا يمكن أن نستنتج منه-أيضًا- حال وضع المرأة الصوماليّة عصرئذ، ومدى تهميش صوتها عند المجتمع.

- **المثل السابع والعشرون:** Nimanka iyo naagaha yaa badan? Naagaha ayaa badan, haddii lagu daro nimanka inta raacday ra'yiga naagaha. (جورج، 192)، أيهما أكثر عددًا، الرجال أم النساء؟ عدد النّساء أكثر، إذا أضفنا إليهن الرجال الذين يتبعون آراء النساء.

هذا المثل قريب من المثل السّابق، ويدور في نفس الموضوع، وهو شيطنة النساء والتنفير من الاستماع إليهن، عبر وصف الرجال الذين يوافقون رأيهن، أو يقدّرون أفكارهن، أو يقيّمون صوتهن، بأنهم عديمو الرجولة، ويُعدون في قائمة النساء.

- **المثل الثامن والعشرون:** Naagi nin ay taqaan nin ma mooddo (جورج، ص121)، لا تعتبر المرأة من تعرفه رجلًا.

يصف هذا المثل -بصورة غير مباشرة- سلامة صدر المرأة، وأنها قليلة الحذر ممن تعرفه، ولا تتوقع منه شرًّا، وتتخذه أخًا، وصديقًا وقريبًا ووالدًا يستحق الاحترام والتقدير والتبجيل، ولا تطمع فيه ولا تتخيل أنه يرغب فيها، بينما تخاف من لا تعرفه،

وتحتاط منه، وتحاول أن تتجنّبه، وتتستر عنه، وتتحسب لكل الاحتمالات الممكنة الصادرة عنه سلبية كانت أو إيجابية. هذا المثل بقدر ما يدلّ على إيجابية المرأة تجاه من تعرفه، يذهب بك إلى اتجاه سلبي إذا عكسته، وهو سذاجة المرأة، حيث تقدّر رجولة من لا تعرفه، وتحتشم منه، وتسعد للتعامل معه كالرّجل، وهو ما يسهل أن يضحك عليها، وتنخدع أمامه بيسر؛ لأنها تتعامل مع من لا تعرف خلفياته، إما أن تثق بمجهول وتستسلم لحظها، أو تحذر منه وتحتاط وتفقد شريكها المحتمل.

- **المثل التاسع والعشرون:** Naag waa dhallaan raad wayn (جورج، ص120)، المرأة طفلة بقدم كبيرة.

هذا المثل ينطلق من تقييم المجتمع البسيط لتصرفات السيدات وردود أفعالهن على المشاجرات العائليّة، والاختلافات اليوميّة الأخرى، سواء كانت فيما بينهن أو بينهن وبين الرّجال، وما استنتجه من ذلك، من أنهن قليلات التحمل وسريعات الاستياء والغضب. وأنهن يُصررن على الانتقام من كلّ من أخطأ في حقهن بدلًا من السعي لمحاولة فهم دوافع المخطئ؛ إضافة إلى طلباتهن المفتوحة التي لا تتلاءم -أحيانًا-، مع حالة الأسرة وظروفها المادية، وكأنهن يعشن في كوكب آخر. وصف المجتمع بعد تلك الملاحظات على أنهن مثل الأطفال، بيد أنهن أكبر قدمًا منهم. قد يكون المثل غير دقيق في إطلاقه، ولكنه تعبير عن قراءة حالات بعينها وتعميم نتائجها.

أمثال تبيّن إثارة المرأة للفتن

- **المثل الثلاثون:** Col naago ka kacay iyo cadho nirig ka kacday midna ma qaboobo. (جورج، ص47)، لا تنطفئ حرب أوقدتها امرأة، ولا جَرَب بدأ بحُوار (صغار الإبل).

وثّق هذا المثل أحد أهم العوامل المثيرة للنّعرات والصراعات العشائرية في الصومال، وهو المرأة، فكثيرًا ما تتقاتل العشائر بسببها، حيث تنشب حرب طاحنة مدمّرة طويلة الأمد من أجل بكاء امرأة، أو رفع صوتها مستنجدة بحق أو بغير حقّ، ومن هنا شبّه المثل عدم توقف هذا النزاع بالجَرَب، -وهو مرض جلدي مُعْدٍ، يفشو سريعًا - الذي بدأ

بحُوار، لانتشاره واستمراريته؛ لكون الحُوار ينقل المرض حتمًا إلى أمه أثناء الرّضاعة، وهي بدورها تُعدي إلى رؤوس الإبل الأخرى عندما تسرح للمرعى وتختلط بها، ثم تُعدي هذه الإبل غيرها؛ لذا سجّل المثل أحد أهم أسباب صراعات العشائر المتجددة، قائلًا: لا تخمد حرب أشعلتها امرأة، ولا جرب بدأ بحوار...وهذا واقع يعرفه كثير من مجتمعات العشائرية أن كثيرًا من حروبها سببه المرأة.

- **المثل الحادي والثلاثون:** Awr awr eryanayo iyo nin naagi eryayso midna kaama leexdo/bayro/baydho (جورج، ص29)، لا يحيد عنك بعير يطارده بعير، ولا يهابك رجلٌ تهيّجه امرأة.

فكما أن البعير المطارَد من قبل بعير آخر أقوى منه لا ينتبه إلى ما هو أمامه أثناء فراره، فكذلك الرجل الذي تزيّن امرأة له الكلام، وتهيّج مشاعره، وتأمره بالإقدام، لا يفكّر في عواقب أفعاله، بل كل ما يقع في ذهنه هو سرعة استجابة طلبها، وإحسان تنفيذ أوامرها، مستخدمًا في ذلك كلّ أدواته وتكتيكاته وقواه؛ لينال ثناءها، وبما أنّ -مثله- متهم بضعف الشخصيّة، والانصياع المطلق لتعليمات المرأة، يُحاول أن يثبت للآخرين -أيضًا- عكس ذلك، أي أنّه يدافع عن المرأة، ويحافظ على عرضها. ولهذا ربط المجتمع الصومالي من خلال هذا المثل بين حالة الرّجل التي تُحرّضه المرأة، وبين حالة الجمل المذعور الهارب من فتك آخر أشدّ منه.

- **المثل الثاني والثلاثون:** Duqa waa cirbaddii dadka isku tolaysay, duqdana waa mindidii kala goynaysay (جورج، ص65)، الرجل إبرة تنسج الأهل، والمرأة سكين تقطع أواصره.

فالمثل له دلالتان: الأولى تعبير عن واقع تكوين الأسر، إذ تدخل الزوجة الجديدة على عائلة تختلف عنها نشأة، وتجهل عن طبيعة أفرادها وذوقياتها، وهم كذلك يستقبلون إنسانًا مجهولًا يفرشون له البسط والورود، ومع ذلك يبقى التوجس ماثلًا في مخيّلة الطرفين، حيث تخاف كل جهة أن تخيب الجهة الثانيّة آمالها، وتسعى الزوجة في خضم هذا التحاذر إلى إيجاد مركز خاص بها في المنزل الجديد، وموطن استقرار تُستأذن بها جل ما

يدخل فيه أو يخرج، وهذا يُزعج العائلة، وتعتبرها سيطرة وقحة على الابن، والتصرّف فيما لا تملك، ومن هنا يتدخل الزوج غالبًا لطمأنة الطرفين وتقريب وجهات نظرهم وخلق الودّ بينهما. أما الدلالة الثانية -وهذا ليس الغالب- وهو أن تثير الأم فتنة بين بنتها وشريك حياتها، أو تكون طرفًا في الخلافات العائليّة، وتوقد نار النزاع والتشاحن كلما انطفأت، ويبذل الأب قصارى جهده من فينة لأخرى لإصلاح ما أفسدته الأم. وقد يحدث العكس في أحيايين كثيرة، أي أن تخمد الأم فتن الأب، وتوطّد لُحمة العائلة وتماسكها، وتقف سدًّا أمام عنجهيته، وسوء مقاله وتصرّفه، وتكون الأسرة الكبيرة ممتنة لوجودها. ولكن المثل أعطى الرجل حق رعاية تماسك الأسرة، ورأس وِئامها، وحكم على المرأة التمزيق والتفكيك، وهو حكم غير عادل.

- **المثل الثالث والثلاثون:** Waxaa jiro labo nolosha ku fiican iyo labo geerida ku fiican, labo socodka ku fiican iyo labo fadhiga ku fiican: labada nolosha ku fiican waa saqay iyo sac madi ah; labada geerida ku fiican waa baqay iyo baqayl; labada socodka ku fiican waa diin iyo daruur; labada fadhiga kufiican waa dumar iyo dab.

(جورج، ص195)، هناك شيئان يليقان بالحياة، وآخران يليقان بالوفاة، وآخران جيدان في الانتشار، وآخران جيدان في الإقامة، أولهما: السخي، والبقرة الوحيدة، وثانيهما: الجبان والبخيل، وثالثهما: الدين والسّحاب، ورابعهما: النساء والنار.

من خلال هذا المثل السائر على شكل الثنائيات، نفهم أن المجتمع يرى أنّ حركة المرأة وتنقلها مضرّة مثل النار التي تحرق ما حولها إذا خرجت من الحيّز المخصص لها، وهذا يعني أنهم يتهمونها بإثارة الفتن، وإشعال الصراعات العائليّة، والعشائريّة عند خروجها من بيتها، وهي إدانة يصعب تسليم حصرها على السّيدات، ولا فهم مساواتهن بالنّار في الإتلاف وسرعة الأَذِيَّة عند أي تطاير، فالسيدات لسن كالنّار، هنّ صنو الرّجال بالضبط، فيهن الخيّرة، وفيهن الشرّيرات، بل قد تسعى بعضهن إلى إخماد الفتن أكثر من الرجال. ولعلّ نشأة المثل تعود لحالات خاصة لاحظها مطلقوه، ثم عُمّم لاحقًا.

- **المثل الرابع والثلاثون:** Waddada naarta waa carrabka dumar (جورج، ص175)، لسان المرأة هو الطريق إلى النّار.

يرى الصوماليون أنّ السيدات كثيرات الغيبة، وأنّ جلّ جلساتهنّ لا تخلو عن التفكُّه بأعراض النّاس، وقلّ أن يمرّ إنسان في مكان تجمعهنّ، ويسلم من ألسنتهنّ، فالغالب أن يسلخن جلده، ويخضن في تفصيلات حياته، وشكله، وأصله وفصله، إضافة إلى سلاطة لسانهن عند الامتعاض والنّقد، واستسهال إطلاق الألفاظ البذيئة، واللعن، وسيئ الأقوال، وغيرها. لذا عدّ الصوماليون لسان المرأة أكثر ما يقودها إلى النّار.

- **المثل الخامس والثلاثون:** Naagta carabkeeda waa seef marna aan mirirayn (جورج، ص135)، لسان المرأة سيف لا يصدأ.

قد يكون هذا المثل وصفًا لطبيعة المرأة، وفق تصور المجتمع، وليس قدحًا فيها، ولا إساءة لها -رغم أن صورته تشير إلى السّلاطة والبذاءة-؛ لأن الرجل كثيرًا ما يلجأ عند الاختلاف إلى أخذ ما يراه أنه حقه باليد، بينما تأخذه المرأة حقها بلسانها، وأقرب مثال لذلك وأدقها تعبيرًا هو حالة الزوجين عند المشاجرة، فنادرًا ما تبدأ المرأة بالعنف الجسدي، ولكن في المقابل هي آخر من يصمت، أو يؤثر على الانسحاب من أجل تهدئة الموقف؛ لذا قالوا عنها هذا المثل: وهو تصور ليس خاصًا بالصومال، بغض النظر عن صحته أو خطئه، لذا تسمع في بعض مناقشات المجتمعات العربيّة، أنهم يصفون لسان المرأة بأنه سيف مسلول، أو سيف ذو حدّين، أو بأنّ قوتها في لسانها، أو غيرها.

أمثال تقلل من قيمة المرأة وتستهتر بحياتها

- **المثل السادس والثلاثون:** Dumar iyo dameerba duco la'aan ayay tarmaan (جورج، ص64)، الحمير والسيدات يكبران بدون دعاء.

هذا المثل يدلّ على تفضيل المجتمع الذكور على الإناث، فكما لا يبتهج بولادتها، فلا يفرح بتنشئتها؛ لذا عبّر عن انزعاجه، أو استغرابه بنموها السّريع قائلًا: إنها تكبر بدون دعاء، وبيّنا سلفًا أن هذا التفضيل متفهم، وهو انعكاس طبيعي للحياة البدويّة الجافة المسيطرة على الوضع العام، فوهب الله سبحانه وتعالى الذكور بنية بدنيّة متينة تتلاءم مع

متطلبات الحياة الصعبة، وظروفها القاسيّة، وتحمّل أعبائها، وتقلّ هذه الخصلة بين الفتيات؛ لهذا ترغب العائلات في خِلْفَة من يأخذ زمام المبادرة، ويخفف عن كبارها. ومن ثم شبّه المثل نمو البنت بنمو الحمير التي تُستحقر أحيانًا رغم أهميتها وتنوع فوائدها؛ لأنها ليست سفينة الصحراء التي تمنح صاحبها مكانة اجتماعيّة مرموقة. وهناك مثل آخر يتطابق مع دلالة هذا المثل، وهو، Gabdhaha dhag dameer baa ku darsanta wiilkana tin wax le'eg. (جورج، ص70)، يزيد نمو البنت يوميًّا ما يعادل أذن حمير، والابن ما يعادل شعرة. كناية عن سرعة نمو الإناث، وعدم ارتياحهم له. وكذلك المثل القائل: Hadal iyo hablaba duco la'aan bay tarmaan (جورج، ص83)، الكلام والبنات ينموان بدون مباركة.

- **المثل السابع والثلاثون:** Kibir rag iyo korriimo naagoodba waa lagu jabaa (جورج، ص100)، الغرور وتربية البنات يكسران الرّجال.

فمألوف أنّ الغرور يُعمي بصيرة الرّجل، ويُفقده التقييم الصحيح لحالته، ويضخّم له مميزات نفسه، ما يجعله يعاند الحقّ، ويتعالى على النّاس. بينما تنتهي تربية البنات –وفق تصور المجتمع الصومالي القديم– إلى إنهاك الأسرة ماديًّا بشخص غير قادر على حماية ذاته، ناهيك عن مناصرة غيره، وتقديم العون له. ما يُفضي في المحصّلة إلى كسرهما ظهر الرّجال معنويًّا وماديًّا.

- **المثل الثامن والثلاثون:** Habar is umulisay ceebtana way qarsatay, ajuuradana way reebatay (جورج، ص81)، سيدة ولّدت نفسها سترت عيوبها، واحتفظت بأجرتها.

هذا المثل تغلب عليه المادية والاستهتار، فهو من الناحية يستهتر بعملية الولادة، ويستهين بصعوبة المخاض وخطورتها على الأم والمولود، ويتحدث عن منافع توليد المرأة وحدها، وهو ستر عيوبها، ومن الناحية الثانيّة يضخم الأجرة القليلة التي تعطى القابلة أو المستشفى، ويعدّ عدم صرفها فائدة قيّمة تستحق الذكر والإشادة، ما يظهر مادية الرجل وجشعه وقلة شفقة ورحمته، وغياب إنسانيته. هذا إذا سلّمنا أن مطلقي المثل هم الرّجال،

أما إذا كان غيرهم من الجنس الناعم، فهن من يطغى عليهن الاستهتار بحالة الولادة تماهيًا مع المزاج الذكوري العام.

- **المثل التاسع والثلاثون:** Naag/ haween waa balaayo loo baahanyahay : (جورج، ص120)، المرأة مصيبة لا يُستغنى عنها.

المثل يشير إلى التباين الحاصل بين الذكر والأنثى، حيث يرى الرجل أن المرأة متقلبة المزاج، صعبة التوقع عن تصرفاتها، وردود أفعالها، ومع ذلك لا تحلو الحياة بدونها، ولا يستمرّ النسل إلا بوجودها، لذا وصفها بأنها محنة يحتاج إليها الرّجل.

- **المثل الأربعون:** Naago iyo riyo toona looma dhutiyo (جورج، ص122)، لا يعرج الرجل لفقد امرأة أو قطيع غنم.

يقول المثل: إنّ الرّجل لا يرى نائبة كبيرة يتضرر بموجبها بالغ التضرر، إذا فقد زوجة سواء بالوفاة أو بالطلاق، أو فقد قطيع غنم سواء نفقت أو ضلّت، كأنه يختصر طبيعة المجتمع الذكوري الذي يقلّل شأن المرأة وجودًا وغيابًا في داخل العائلة الكبيرة أو الصغيرة، -ولو جسّد الواقع عكس ذلك تمامًا-، ويجمعها مع الغنم الذي هو أدنى المواشي قيمة في نظره، والذي يمكن أن يصبر عنه الرجل بسرعة عند فقدانه. ولعلّ المثل يعرض ما يتهامس به الرّجال في جلساتهم الخاصة - وليس بالضرورة أن يكون المفجوع بالفقد يشارك معهم في هذه الفكرة، ولا أن يعبّر المثل عمّا يختلج في أحشائه من ألم وحزن عميقين، أو ينتابه من قلق وأرق تجاه مستقبله، وكيفية ملء الفراغ الذي أحدثته الرزيّة، وغيرها- وهو أن المصيبة هينة، وعليه تقتضي الحالة تعاملها وفق حجمها.

- **المثل الحادي والأربعون:** Habar dhali wayday aleelo ku waalatay (جورج، ص81)، امرأة عقيم تُكثر من تعليق التمائم .

هذا المثل كسابقه يستهدف النّساء، ويذكر أن المرأة العاقر، أو التي يتأخر منها الإنجاب، تجنّ وتطرق كل الأبواب، وتلجأ إلى وسائل غير سليمة أحيانًا، كالتمائم، وهذا تصرّف متوقع لكل محروم من الأولاد ذكرًا كان أو أنثى، لكن المثل حمل اسم العقيمات؛ لأنه في تلك الفترة، كان الاعتقاد السائد في المجتمع أن المرأة هي السبب في عدم

الإنجاب؛ لذا يبقى الرّجل بريئًا أبدًا والمرأة متهمة دائمًا، حتى ولوكان الخلل أو العقم عند الرجل، أو مجهول السّبب.

- **المثل الثاني الأربعون:** Haween taad barataaba ba'an (جورج، ص90)، أي امرأة تتعرّف عليها منقوصة.

فالنقص طبيعة بشرية؛ لأن الكمال لله وحده، لكن وصف المثل جميع النساء بالنقص ووضعهن في سلّة واحدة، يدلّ على الفوقية الذكورية السائدة في المجتمع؛ لأنهن مثل الرّجال تمامًا، كما أن في الرجال صالحًا وطالحًا، وكريمًا وبخيلًا، وليّنًا وخشنًا، وعاقلًا وبليدًا، وصبورًا وجزعًا... إلخ، كذلك في النساء كريمات عاقلات متميزات، فيهن عكس ذلك. بيد أن المثل يمكن توجيهه بأنه يجسّد حالة الشاب المقبل على الزواج، المنطلق من مجرّد تصورات ذهنيّة يستحيل تحقيقها واقعيًّا، باحثًا عن فتاة تستوفي شروطه الخياليّة التعجيزية، كأن تكون طويلة، وجميلة، وفاتحة اللون، وذات حسب وغنى، وعملية نشطة، وتتمتع بذكاء مفرط، وغيرها من مقاييس الرّشاقة والبدانة، وحجم المؤخرة والأرداف والسّاقين والصدر، وهي معايير معقّدة، يصعب أن تتوافر كلّها على فتاة واحدة؛ لذلك قيل هذا المثل على لسان هذا الشاب الحالم، أو قاله هو، وهو مثل يتطابق مع بيت شعر قاله الشّاعر: (Xirsi المتوفى 1922م). وهو ضمن قصيدة ينصح فيها للشباب المقبلين على الزواج: Isu gaadhay gabadhaad tidhaa, meel unbaa go'ane، كل فتاة تحسبها كاملة تجدها منقوصة.

أمثال تنظر إلى المرأة نظرة الشكّ والاستخفاف

- **المثل الثالث والأربعون:** Naag ama ha kudhasho ama ha kuu dhaxdo (جورج، ص119)، فلتكن المرأة والدتك أو زوجتك.

يوحي هذا المثل إلى الأثرة الرجالية المتضخمة في المجتمع، حيث حصروا السيدات اللائي يستحقن التقدير والاعتبار في الوالدة والصاحبة فقط، وكأنهم نظروا القضيّة إلى جانبها النفعي الآني الذي يعود إلى شخصية الرّجال؛ لذا استبعدو الأخوات والبنات والجدات وغيرهن من المثل، لأنّ هؤلاء يستفدن من الرجال قبل أن يصل نفعهنّ إليهم وربما لا يستفيدون منهنّ فائدة مادية مدى الحياة؛ لذا قصّروا مثلهم على المؤكّد من منفعتهما، وهما الوالدة والزوجة.

- **المثل الرابع والأربعون:** Sirtaada naag looma sheegto (جورج، ص167)، لا تُفش أسرارك لامرأة.

لم يُحدّد المثل المرأة المعنيّة هنا، لكن وفق العرف العام هي الزوجة تقريبًا، سواء كانت تحت عصمة الزوج، أو بينهما وعود جارية لإتمام العقد، فيرى الصوماليون أن إفصاح الرجل عن أسراره لزوجته الحالية أو المستقبليّة يضرّه، ففي الحالة الثانيّة؛ إذا صارحها، وكشف أسراره لها، قد ترفضه، ولا يتوقف الأمر عندها، بل تنقلها لزميلاتها ورفيقاتها ومعارفها، ومن ثَم تكون صراحته عقبة على حصول زوجة، وأما الأولى، فقد تعيق حرّية تصرفاته، واستقلالية قراراته؛ إذ إن من عادة المجتمع الصومالي أن تكون الكلمة للرجل، وتجتمع في يده جميع قرارات الأسرة، وإذا أفشى لها نواياه وباح بالقرارات التي يزمع اتخاذها، قد تربكه باقتراحاتها الكثيرة، واعتراضاتها العديدة، وتهتزّ سلطته، وينحرّج أمام أقرانه،ويفقد وزنه في العشيرة، ويُعتبر مغلول الأيدي، ويُهمَل أثناء المشاورات المهمّة والقرارات المصيريّة؛ لأنه متّهم بنقل كل صغيرة وكبيرة إلى زوجته، والزوجة غير مؤتمنة في نظرهم، وربما هي من عشيرة أخرى بينها وبين عشيرة الزوج نزاعات وثارات، ومن ثم تصل الأسرار إلى العدو.

وقد يرتبط الأمر بخصوصيات الزوج التي لا يريد أن تعرفها زوجته، من بينها حجم أمواله، أو مواردها، أو كيف يتصرّف فيها، تفاديًا من تضييقها عليه في المحاسبة والمتابعة لاحقًا. وقال الشعب هذا المثل: لا تفشي أسرارك لامرأة، انطلاقًا من اعتقاده بأن هذه الأمور من خصوصيات الرجل، وأن كشفها للزوجة يضرّ سمعة الزوج ومكانته الاجتماعية.

ما يمكن أن يستخلص من هذا المثل بقطع النّظر عن سلامة هذا الاعتقاد وسقمه، هو تمايز الخصوصيات والأعمال والمآثر بين الذكور والإناث في أدق تفاصيل الحياة في المجتمع.

الخاتمـــة

بعد تحليل مجموعة من دلالات الأمثال الصومالية السلبية عن المرأة في قاموس جورج، اتضح لنا ما يلي:

1. إننا لم نقف على ما يذكر مطلقو الأمثال، أو أسبابها، ما عدا ما استنطقناه من مدلولاتها العرفية، وعليه ما أوردناه في داخل التحليل، وقلنا إن مطلِق المثل-في الغالب- هو رجل، وذلك بحكم سيطرته على الإدارة والتدبير وليس حقيقة مطلقة، بل قد تكون بعضها أطلقت من قِبل السيدات لسبب ما. كالاستظراف مثلًا، ثم انتشرت، وهو ما لا نقدر على نفيه أو إثباته.

2. إن الأمثال رغم ورودها على المرأة، ليست خاصة بها عند الاستشهاد بها، بل قد يُستشهد لها وللرجال على السواء، حسب مناسبتها للحالة، ولكن عند الاستشهاد بها للرجال، يُسبق الكلام بعبارة: هذا المثل لا يلائم الرجال، ثم يذكر. مثل العبارة العربية المألوفة: أعزكم الله، أو أكرمكم الله، أو ما شابه، إذا رغبوا في استشهاد أمثال تخصّ بالنساء أو الحيوانات للرجال، ثم يأتون بالقول.

3. إن دلالات بعض الأمثال تقسو على النّساء، بل تستهتر أحيانًا بحياتهن، وهذه القسوة شملت الجوانب الآتية:

أ. أمثال تشجّع عنف المرأة، وتنعتها بالغدر وعدم الوفاء.

ب. أمثال تصف المرأة بالتسرّع والتقلّب، والبخل والسذاجة والبله.

ج. أمثال تنعتها بمثيرات الفتن ومجلبة الفُرقة والشقاق.

د. أمثال تقلّل قيمتها وتستهتر بحياتها.

هـ. أمثال تنظر إلى المرأة نظرة الشكّ والاستخفاف.

التوصيات والمقترحات

توصي الدراسة بما يلي:

بما أن تأثير المثل في النفس قوي غالبًا؛ لأنه يجسّد تاريخًا قد يفتخر به القائل، أو يمجّده، ينبغي وضعه في إطاره التراثي، وذلك من خلال الآتي:

1. تنبيه الناس على تجنّب توظيف الأمثال السلبية أثناء الحديث أو الكتابة، بغية تقليل انتشارها واستخدامها.
2. تعليم الأجيال الصاعدة المحافظة على التراث القويم، وليس كل التراث.
3. دراسة الأمثال التي تستهدف فئة بعينها سلبًا، أو ما يفهم من ذلك، للإحاطة بها؛ ليسهل إخطارها على الناس.
4. دراسة الأمثال الصومالية عمومًا ومقارنتها بغيرها من أمثال الشعوب القريبة منها عرفًا وثقافة من أجل عرض أوجه التشابه والاختلاف فيها.

المصادر والمراجع

- ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله الإشبيلي (المتوفى: 543هـ) (2003م): أحكام القرآن. (ط3)، بيروت: دار الكتب العلمية، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا.
- توكل، محمد عبد الله (2020م): مقابلة هاتفية في 2 ما يو.
- شيذو، محمد علي عمر (2014م): مدخل إلى النّقد الأدبي العربي القديم (ط1). كوالا لمبور– ماليزيا. KACI PRINTING SDN. BHD.
- ضيف، شوقي (1995م): تاريخ الأدب العربي. (ط1)، مصر: دار المعارف.
- الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود البصري (المتوفى: 204هـ) (1999م): مسند أبي داود (ط1). مصر: دار هجر. تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي.
- عقيق حسين عقيل (2014): خطوات البحث العلمي من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة. (ط1). دار ابن كثير.
- علي محمد الصلّابي (د ت): البرلمان في الدولة الحديثة المسلمة. بيروت: دار المعرفة.
- فيروز، مصطفى (2020م): مقابلة هاتفية في 8 أبريل.
- كبجتس. جورج (2020م): رسالة عبر البريد الإلكتروني في 21 أبريل.
- مالك بن أنس بن مالك بن عامر المدني (المتوفى: 179هـ) (2004م): الموطأ. (ط1). أبو ظبي: مؤسسة زايد بن سلطان. تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي.
- مهدي، بشير (2020م): مقابلة هاتفية في 30 أبريل.
- Annarita Puglielli iyo Cabdalla Cumar Mansuur. (2012). Qaamuuska af-soomaliga, Roma: Universita' degli Studi Roma Tre.
- Kapchits, Georgi. (1998). Qaamuuska Maahmaahyada Soomaaliyeed. Moosko: Shirkada qoraalka ee "Suugaanta Bariga"
- Xirsi, Aw Yuusuf Maxamed. (1922). Guuraan ka la'aado.https://www.doollo.com. (taariikhda daalacashada, 14.4.2022)